عريضةٍ تستنكر الحكمَ القانونيَّ الصادرَ عن محكمة المطبوعات. وفي هذا الصدد لا بدَّ من التذكير بالعريضة الموقّعة من طرف أكثر من ألف مثقف من لبنان والعالم، ومنهم أسماءٌ لامعةٌ كنعوم تشومسكي ونورمن فنكلستين وصنع الله إبراهيم وسليم الحص وشفيق الحوت وأنيس صايغ... وأخيرًا، تعلن حملتُنا عن تضامننا الماليّ مع مجلة الآداب في تحمّل أيّ نتيجةٍ سلبيّةٍ لحكم الاستئناف مستقبلاً في ظلّ قانونِ المطبوعاتِ الحاليّ، وعن إطلاق حملةِ تبرّعاتٍ شاملة؛ ذلك أنّ الادّعاءَ على الآداب وسماح وعايدة اعتداءٌ مباشرٌ علينا!

إننا عبر تضامنِنا مع الآداب نتضامنُ أيضًا مع ذواتِنا وحقِّنا في الحريّةِ والإبداع. وهذا هو جوهرُ إنسانيّتنا ومعنى وجودنا.

وفي نهاية كلمتي لا بدَّ من توجيهِ تحيّةٍ قلبيّةٍ منا جميعًا إلى مؤسّس الآداب الراحلِ الكبير الدكتور سهيل إدريس، وإلى روحِهِ الطاهرة، ورسالتِهِ الخالدة في استنهاضِ الإنسانِ العربيِّ الجديد وترسيخِ ثقافةِ الوعي الذاتيّ والمقاومة.

سنبقى معك يا سماح، وستبقى الآداب عصيّةً على دعاةِ التطويعِ والإرهابِ الفكريّ.

❖ ❖ ❖

كلمة رئيس تحرير الآداب في المؤتمر التضامنيّ

الأصدقاء والزملاء والرفاق،

باسم دار الآداب، أقولُ لكم: أهلاً بكم في دار الحريّة.

لقد حكمت المحكمة بأننا مارسْنا القدحَ والذمَّ في حقّ مستشار السلطان. ولكنّ الثقافةَ كانت قد حَكمتْ قبل المحكمة، وستحْكم بعدَ المحكمة، بأنّ التقاعسَ عن خوضِ معاركِ الحريّةِ والاستقلال هو الذمُّ بعينِهِ وهو القدحُ بعينه: ذمُّ بدور المثقفِ الملتزم، وقدحُ بدور الثقافةِ الوطنيّة. لذا، فقد قرّرنا، باسمِكم، أن نستأنفَ الحُكْمَ، لأننا قرّرنا، باسمِكُم أيضًا، أن نواصلَ المعركة: معركةَ المقاومةِ العربيّةِ ضدّ الاحتلالِ الأميركيّ للعراق، ومعركةَ اليسار الثوريّ ضدّ اليسار الزائف الذي تحوّل إلى برغيٍّ صغيرٍ في آلةِ الاحتلال، ومعركةَ الثقافةِ المستقلّةِ في وجه ثقافةِ المالِ والنفطِ والسلطة وتكميم الأفواه.

أيها المثقفون، قانونُ المطبوعاتِ عارٌ عليكم. وقانونُ المطبوعات عارٌ على هذا البلد الذي يتباهى بأنه بلدُ الحريّةِ والإشعاعِ الثقافيّ. ولكنّ هذا التباهي تبجّحٌ فارغٌ أحيانًا، ويا للأسف. والدليل؟ الدليلُ هو أنّ السيد فخري كريم لم يرفعْ أيّةَ دعوى علَى أيٍّ من منتقديه في أوروبا، وهم بالعشرات، لأنهم يعيشون في النروج والسويد وفرنسا والنمسا وبريطانيا على سبيل المثال لا الحصر.

السيّد مستشارُ الرئيس تحت الاحتلال، والرئيس بفضلِ الاحتلال، اختار بلدكم، أيها اللبنانيون، لأنّ بلدكم، خلافًا لما نسمع، ليس نصيرًا للحريّة! قانونُ المطبوعات، أيها الزملاء، سيفٌ مسلّطٌ على أقلامكم. فهو لا يكتفي بمنعكم من قولِ ما تؤْمنون به، وإنِ استندتم إلى مصادرَ ومراجعَ لا تُحصى، بل يمنعُكم من إثباتِ ذلك أيضًا.

لقد قرّرت الآداب منذ تأسيسها ألاّ تكونَ ضحيّةَ قانون المطبوعات، بل أن تكونَ جنديّاً في معركة تعديله. ولهذا فنحن لم نخسرْ ولن نخسرَ، لأنّنا نعملُ بهدْيٍ من كلماتِ الشهيد مهدي عامل التي ستبقى ترنُّ في آذانِنا إلى الأبد: «لسنا مهزومين ما دمنا نقاوم»!

أيُّها الزملاء والرفاق،

كان بإمكان مستشار السلطان أن يردَّ علينا، وكنّا سننشر ردَّه بالتأكيد. بل إنه حين رفع الدعوى عمدْنا فورًا إلى نشرها، كما هي، بكلّ أخطائها الطباعيّة وغير الطباعيّة، ونشرْنا أيضًا ثمانيَ عشرة مقالةً تنضح بمديحه، وتشتمنا بنعوتٍ من قبيل: أنني عميل لصدّام، وأنني جزءٌ من عصابات التفخيخ الإجراميّة، وأنني أمارسُ العُواءَ الكريه! ولم أرفعْ دعوى مضادّةً ضدّ أيٍّ من هؤلاء الشتّامين، لأنّ الكلامَ في رأينا لا يواجَهُ إلا بالكلام، ولو كان جارحًا. تلك كانت ممارستَنا وأخلاقيّاتنا منذ سبعةٍ وخمسينَ عامًا: لم نرفعْ دعوى ضدّ أحد؛ ولم نستعْدِ القضاءَ ضدّ أحد. سلاحُنا الكلمةُ وحدها، حتى حين يتسلّحُ الآخرونَ بالمالِ والمنصبِ والسلطةِ والميليشيات.

أيُّها الناس، الآداب لا تعتبركُم اليومَ متضامنين معها، بل تعتبر نفسَها متضامنةً معكم: في معاركِكم النبيلةِ من أجل الحريّة، والعراق، وفلسطين، واليسارِ الحقيقيّ. ولقد شرّفتموها بأنْ قبلتموها جنديّاً في صفوفكم.

بيروت، ٢٠١٠/٣/١١